﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ٦٢﴾ [النّحل: 62]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

مِن حقوق المتّهمِ بيانُ الحَيثيّةِ الّتي انبنى عليها الحُكمُ عليه

لمّا ذَكَرتِ الآياتُ السّابقةُ بعضَ مخازي الكفّار وقبائحِ أعمالِهم، مِنَ الكُفر والشّرك ووَأْدِ البنات؛ جاءَت هذه الآيةُ لتُكْمِلَ بعضَ مخازي الكفّار وجرائِمِهم بحَقّ اللّهِ ﷻ، مِن جَعْلِهم ما يكرهون مِنَ البناتِ للّه ﷻ، ويفترون بألسنتهم الكذبَ بأنّ لهم في الآخرة العاقبةَ الحُسنى.

ومنها: لمّا ذُكِرَ في الآيتين السّابقتين الحُكمُ العامُّ عليهم بأنّ لهم مَثَلَ السَّوء، وأنّ المُؤاخَذةَ على ذلك غيرُ ناجِزَة على الفور، فصَّلَ هنا في هذه الآية الحيثيّاتِ الّتي انبنى عليها هذا الحُكمُ، وأخبرَ بمآلِهم في المُؤاخَذة والعقاب إذا بلغوا أجلَهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَكۡرَهُونَۚ﴾: (كره): كلمةٌ تدُلُّ على خِلافِ الرِّضا والمَحَبَّة، يُقالُ: كَرِهتُ الشَّيءَ أكرَهُهُ كَرهًا، والكُرهُ الاسمُ، والكَرهُ: أنْ تُكَلَّفَ الشَّيءَ فتَعمَلَهُ كارِهًا[1]، والكَراهَةُ مِنَ الكُرْهِ أوِ الكَرْهِ، وهو المَشَقَّةُ والشِّدَّةُ، يُقالُ: قُمتُ على كُرهٍ؛ أي: على مَشقَّةٍ[2]، ومنه سُمِّيَت الحَربُ كَريهَةً[3]، والمَكارِهُ: الشَّدائِدُ، والمَكروهُ: ما يَكرَهُهُ الإنسانُ ويَشُقُّ عليه[4]، ومنه سُمِّيَ ما نَفَّرَ عنه الشَّرعُ والطَّبعُ مَكروهًا؛ لأنَّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كره).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (كره).
(3) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (كره).
(4) ابن الأثير، النّهاية، وابن منظور، لسان العرب: (كره).

الطَّبعَ والشَّرعَ لا يُنَفِّرانِ إلّا عَن شِدَّةٍ ومَشَقَّةٍ تَلحَقُ بالمُكَلَّفِ[1]، والمقصودُ بالكَراهة في الآية: الكَراهِيَةُ ونُفرَةُ الطَّبعِ مِنَ الشَّيءِ، والمُرادُ: نِسبَةُ أخَسِّ أصنافِ الأبناءِ في نَظَرِهِم إلى اللّه تعالى[2].

2) ﴿وَتَصِفُ﴾: (وصف): أصلٌ يدلُّ على تَحلِيَة الشَّيءِ، ووَصَفتُهُ أصِفُهُ وصفًا؛ أي: حَلَّيتُهُ، والصِّفةُ: الحِليَةُ، والصِّفَةُ: الأمارَةُ اللّازِمَةُ للشَّيءِ، كما يُقالُ وَزَنتُهُ وزنًا، والزِّنَةُ: قَدرُ الشَّيءِ. يُقالُ: اتَّصَفَ الشَّيءُ في عَينِ النّاظِرِ، احتَمَلَ أن يوصَفَ[3]، والوَصفُ أيضًا: النَّعتُ، يُقالُ: وصَفَ الشَّيءَ يَصِفُهُ وصفًا وصِفَةً، إذا نعَتَهُ بما فيه، والجمعُ: أوصافٌ، ويأتي الوَصفُ بمعنى: الحالَةِ والهيئةِ الَّتي يكونُ عليها الشَّيءُ، كالجمال واللَّون، مِن قَولِهِم: وصَفَ الثَّوبُ الجِسمَ؛ أي: أظهَرَ هيئتَه وبيَّنَهُ[4]، والمقصودُ بـ ﴿وَتَصِفُ﴾ في الآية: تَذكُرُ بشَرحٍ وبيانٍ وتَفصيلٍ، حتَّى كأنَّها تَذكُرُ أوصافَ الشَّيءِ[5].

3) ﴿لَا جَرَمَ﴾: (جرم): مِنَ الجَرمِ، وهو: القَطعُ[6]، وقيل أصلُه: الكَسبُ، وفُلانٌ جَريمَةُ أهلِهِ؛ أي: كاسِبُهُم، ومنه سُمِّيَ الذَّنبُ جُرمًا؛ لأنَّهُ كَسبٌ لِصاحِبِهِ[7]، والإجرامُ: ارتِكابُ الجُرمِ، وهو الإثمُ العَظيمُ[8]، يُقالُ: أجرَمَ الرَّجُلُ: إذا ارتَكَبَ ذَنبًا أو جَنَى جِنايَةً[9]، والجارِمُ: الجانِي، والمُجرِمُ: المُذنِبُ[10]، وأمّا قَولهم: ﴿لَا جَرَمَ﴾، فإنَّ الفَرّاءَ زَعَمَ أنَّها كلمةٌ كانت في الأصل بمَنزِلَة (لا بُدَّ) و(لا مَحالَةَ)، فكَثُرَ استِعمالُها حتَّى صارَت بمَنزِلَة حَقًّا، ألا تَرى العربَ تقولُ: "لا جَرَمَ لآتِينَّكَ"، "لا جَرَمَ لقد أحسَنتَ"، فتراها بمنزلَةِ اليَمين، وكذلكَ فسَّرَها المُفَسِّرونَ: حَقًّا إنَّهُم في الآخِرَة هُمُ الأخسرون[11]، وعليه يكون (جَرَمَ)

(1) عبد الكريم النّملة، المُهذَّب في علم أصول الفقه المقارن: 1/ 283.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 191.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وصف).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن سِيده، المُحكم، والزبيدي، تاج العروس: (وصف).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 192.
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (جرم).
(7) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، والجوهري، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (جرم).
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 210.
(9) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (جرم).
(10) ابن منظور، لسان العرب: (جرم).
(11) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (جرم).

اسمًا بمعنى: مَحالَةَ؛ أي: لا مَحالَةَ، أو بمعنى: لا بُدَّ؛ أي: لا شكّ؛ أي: حَقًّا[1]، وهو المُراد هنا في الآية.

4) ﴿مُّفْرَطُونَ﴾: (فرط): أصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على إزالَةِ شيءٍ من مَكانِه وتَنحِيَتِه عنهُ، يُقالُ: فرَّطتُ عنه ما كَرِهَهُ؛ أي: نَحَّيتُهُ، والفَرَطُ والفارِطُ: المُتَقَدِّمُ في طَلَبِ الماءِ[2]، وتَكلَّمَ فُلانٌ فِراطًا، إذا سَبَقَتْ منهُ بَوادِرُ الكلامِ، ومِن هذا الكَلِمِ: أفرَطَ في الأمرِ: عَجَّلَ، وأفرَطَتِ السَّحابَةُ بالوَسمِيِّ: عَجَّلَت بِهِ، وأفرَطتُ القَومَ، إذا تَقَدَّمتَهُم وتَرَكتَهُم وراءَكَ[3]، ومُفرِطونَ - بكَسرِ الرّاءِ المُخَفَّفَةِ - في قِراءَةِ نافِعٍ: اسمُ فاعِلٍ مِن أفرَطَ، إذا بَلَغَ غايَةَ شيءٍ ما؛ أي: مُفرِطونَ في الأخذِ مِن عذابِ النّارِ، وقَرأَهُ أبو جَعفَرٍ - بكَسرِ الرّاءِ مُشَدَّدَةً - مِن (فَرَّطَ) المُضاعَفِ، وقَرأَهُ البَقِيَّةُ - بفَتحِ الرّاءِ مُخَفَّفَةً - على زِنَةِ اسمِ المَفعولِ؛ أي: مَجعولونَ فرَطًا - بفَتحَتَينِ - وهو المُقَدَّمُ إلى الماءِ لِيَسقِيَ[4]، والمُرادُ: "أنَّهُم سابِقونَ إلى النّارِ مُعَجّلونَ إليها؛ لأنَّهم أشَدُّ أهلِ النّارِ استِحقاقًا لَها"[5].

المَعْنى الإجْماليُّ:

الإخبارُ عن بعضِ قبائحِ المُشركين

يخبرُ اللّهُ سبحانَه في هذه الآية عن إحدَى رذائلِ المشركينَ، وهي أنَّهم يَنسبون للّه البَناتِ اللّاتي يَكرَهونَهُنَّ لأنفُسِهم، ويَعُدّونَ نِسبَتَهنَّ إلى أحَدِهم نقصًا وعيبًا، ويَجعَلونَ له شُرَكاءَ مِن عَبيدِه في عبادتِه، وهم يَكرهونَ أن يكونَ عبيدُهم شُرَكاءَ لهم في أموالِهم، ويَكذِبُ المُشركونَ بألسِنَتِهم فيَزعُمونَ أنَّ لهم الجَزاءَ الحسَنَ في الدُّنيا وفي الآخِرةِ، ويُكَذِّبُهمُ اللّهُ تعالى على زعمِهم هذا، مُتوعِّدًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/ 36، و14/ 193.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن الأثير، النّهاية، وابن منظور، لسان العرب: (فرط).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فرط).
(4) الأزهريّ، معاني القراءات: 2/ 81، وابن خالويه، الحجّة في القراءات السّبع، ص: 212.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 193.

لهم بقولِه: حقًّا أنَّ لهم النّارَ، وأنَّهم مُعجَّلون إليها، مَتروكونَ، مَنسيّونَ فيها[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الواو في قوله: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ﴾:

جملةُ: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ﴾ استئنافيّةٌ[2]؛ انتقالًا لبيان العُموم الّذي في قوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾، فمَثَّلَ لحالِهم العجيبةِ في السّوء بأنّهم يجعلونَ للّه ما يكرهون، وهو تمثيلٌ للوصف العامِّ: ﴿ٱلسَّوۡءِۖ﴾ بالفعل العامِّ: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ﴾، ويصِحُّ أن يكونَ معطوفًا على: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا﴾، وقولِه: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ﴾؛ استتمامًا لخصال جَعلِهمُ المذمومةَ، وهو من باب عطف العامِّ على الخاصِّ، لأنّ قولَه: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ﴾ عامٌّ، وقولَه: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ﴾، وقولَه: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ﴾ خاصٌّ، والتّعقيبُ بالجَعْل العامِّ فيه اتّصالٌ بالمقابلة معَ الجَعلَين السّابقين.

بئسَ للظّالمين بدلًا أن يجعلوا لله ما يَكرهون، ولأنفسِهم ما يشتهون

نُكتةُ تقديمِ الجارِّ والمَجرور على مُتعلَّقِه:

لم يقُلْ في السّياق الكريم: (ويجعلون ما يكرهون للّه)، بل جاء النّظمُ القرآنيُّ بتقديم الجارِّ والمجرورِ: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ﴾؛ مُبالغةً في إنكارِ ما يزعمونه مِنَ الجَعل، فتقديمُ الجارِّ والمَجرورِ يدلُّ على أنّ الإنكارَ مُتَّجِهٌ لأصل الجَعْلِ قبلَ فروعِه مِن أنواع الافتراءِ المُتباينة؛ ليتّجِهَ الإنكارُ إلى مُجرَّدِ نسبةِ الذّرّيَّةِ إلى اللّه أيًّا كان نوعُها، مِنَ البنين أو البنات؛ لأنّ بشاعةَ نسبةِ الذّرّيّة للّه تَكمُنُ في مُجرَّدِ النّسبة، ولا تَكمنُ في كونِها بناتٍ؛ فلو قِيلَ في غير

اللـــهُ أولـــى وأحـــقُّ بجميع الكمالات

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 263، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 121، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 580، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 2/ 395.

(2) صافي، الجدول: 14/ 343.

القرآن: (ويَجعلون ما يَكرهون لله)، لاتّجهَ الإنكارُ إلى كون المنسوبِ إلى الله هو البنات المكروهات مِن جِهتهم.

دلالةُ التّعريف بجملة الصّلة:

تعريفُ مفعولِ الجَعل بجملة الصِّلة في قوله: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ﴾؛ للدّلالة على أنّ المفعولَ المذكورَ مِنَ الموصول وصِلتِه، وهي الأمورُ المكروهةُ الّتي جعلوها لله، مُشتهِرةٌ معلومةٌ في أوساط المُخاطَبين والسّامعين.

إساءَةُ المُشركين إلى الله سبحانه كـانَـت عـلـنـيّـةً مُشتَهِرةً

دلالةُ الموصولِ في ﴿مَا يَكۡرَهُونَۚ﴾:

دلَّ الموصولُ المُشترَكُ ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ﴾ على العُموم، ومعنى العُموم: جميعُ الأحوالِ والخصالِ الّتي يكرهون أن تَحصُلَ لهم، فنسبوها - مِن فجورِهم - إلى الله، كالبناتِ والشّركاءِ في الرّياسة، والاستخفافِ بالرُّسُلِ وأراذلِ الأموالِ[1].

إرادةُ العمومِ

سِرُّ التّعبير بالكراهةِ دونَ البغض في قوله ﴿مَا يَكۡرَهُونَۚ﴾:

وإنّما عَبَّرَ هنا بالكراهة دونَ البُغض في قوله: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ﴾؛ لأنّهم ينسبونَ إلى الله النّقصَ - والعياذ بالله - أيًّا كان، حتّى ولو لم يصلْ إلى درجةِ البُغضِ عندَهم، فينسبون له ما دونَ ذلك ممّا يَكرهونه، ولو لم يكونوا نافرين منه، وهذا فيه إشارةٌ إلى تمرُّدِهم على الله بأدنى مُلابسةٍ وبكلِّ سبيلٍ.

تَمرُّدُ أهلِ الكفر على الله بأدنى مُلابسةٍ وبكلّ سبيلٍ

دلالةُ الواو في قوله ﴿وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ﴾:

جملة: ﴿وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾ معطوفةٌ على جملة: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ﴾، وهو مِن باب عَطفِ قصّةٍ على قِصّة، وحالٍ على حالٍ، في أطوار كفرِهم وصورِه[2].

لا تُـخـطِـئُ الـجـوارحُ حتّى يُخطِئ اللّسانُ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/ 231.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 192.

بلاغةُ الكناية في التّعبير بالوصف دونَ القول:

الكذبُ شعبةٌ مِنَ الكُفْر

لم يقُلْ في السّياق الكريم: (وتقول ألسنتُهم الكذبَ)، بل عَبَّرَ بمادّة الوصف: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾؛ لتصوير عراقتِهم في احتراف الكذبِ، وضلوعِهم في نَسجِه وبنائِه، فهُم لا يقولون الكذبَ، بل يَفعلون فيه فِعلَ الواصِف للشّيء، المُدَقِّقِ في مَقاديره، المُتتبِّعِ لوجوهِه.

فالتّعبيرُ بالوصف كنايةٌ عن إتقانِهم للكَذب، وإيقاعِهم له مُرتَّبًا مُحكَمًا، وهو إشارةٌ إلى انطلاء كَذِبِهم على النّاس، بحيثُ يستغفلونَهم فلا يُراجَعون فيما كَذِبوا، أو يُنْكَرُ عليهم، وفيه إشارةٌ إلى إضلالِهمُ النّاسَ بهذا التّفَنُّنِ في الكذب، الّذي يقعُ منهُم مَوقِعَ الواصفِ له، لا القائلِ به.

بلاغةُ إسنادِ الكَذبِ إلى ألسنتِهم:

اللّسانُ في الإنسان أمارةُ الصّحّةِ والاقتدارِ على القول والبيان

لم يقُلْ في السّياق الكريم: (ويصفون الكذب) بل أسندَ الوصفَ إلى ألسنتِهم؛ مُبالغةً في تحقيرِهم وتوبيخِهم، واستهجانِ مَزاعمِهم، ذلك أنّ إسنادَ الكذبِ إلى ألسنتِهم يُصَوِّرُ للسّامع هيئَتهم حالَ نُطقِهم بالباطل، حتّى كأنّه يرى ألسنتَهم، وهي تَلوك البُهتانَ، وتَمُجُّ البُطلان.

ولا يخفى ما في ذلك مِنَ التّسجيل الدّقيقِ عليهم، المُؤذِن بحسابهم، وإحصاء ذلك عليهم، بإحصاءِ حركاتِ ألسنتِهم وهي تتفوَّهُ بالكَذِب، ففي ذِكر الألسنةِ إيماءٌ إلى الوعيد الشّديدِ الّذي ينتظرُهُم، وأيضًا في ذِكر الألسنةِ تسجيلٌ لفجورِهم العجيبِ وطغيانِهم الغريبِ، ذلك أنّ اللّسانَ في الإنسان أمارةُ الصّحّةِ والكمالِ، والاقتدارِ على القول والبيان.

بلاغةُ الاستعارةِ:

مِن إتقانِهم للكذب وصفوه وتَفنّنوا فيه

في قوله تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ استعارةٌ مكنيّةٌ، حُذِفَ منها المُشَبّهُ به، حيثُ شَبَّهَ ألسنتَهُم في اعتيادها الكذبَ بشخصٍ عالِمٍ بحقيقة الكذبِ ودقائقِه، فهو يَصِفُه أبيَنَ وصفٍ،

ويُعَرِّفُه أبلغَ تعريفٍ، كما يُقالُ: (وجهُهُ يَصِفُ الجمالَ، وعينُهُ تَصِفُ السّحرَ)، وهو مِن فصيح الكلامِ وبليغه[1].

بلاغةُ المَجازِ العقليّ:

اللّسانُ مُتَرجِمٌ عن إرادة العقلِ والقلبِ

في إسناد وصفِ الكذبِ إلى ألسنتِهم في قوله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ مَجازٌ عقليٌّ؛ لأنّ ذواتَهم هي الّتي تكذِبُ وتَصِفُ الكذبَ، وليس الكذبُ يجري على الألسنة مِن تِلقاءِ نفسِها، بل بتطويعِهم لها، فما الألسنُ إلّا آلاتٌ تنفعلُ لإرادةِ أنفسِهم.

دلالةُ (ال) في قوله ﴿ٱلْكَذِبَ﴾:

استغراقُ كلِّ أنواعِ الكذب

(ال) في قوله: ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ لاستغراق أفرادِ النّوعِ، وهو كلُّ كَذِبٍ يتعلَّقُ بأمورِ الاعتقادِ والتّشريعِ والغيبِ، أو (ال) في ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ للعهد، باعتبار جملةِ تفسيرِ الكذبِ بعدَه في قولهم: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، والحمل على العُموم أولى؛ لأنّ جملةَ ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ تُعَبِّرُ عن كَذِبهم في الغيب والاعتقاد بالجملة، وهي بابٌ مِن أبواب كَذِبهم، وليس كلَّ كَذِبِهم.

المَوقِعُ النّحويُّ لجملة ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾:

مِن أقبحِ الكذبِ الرَّجْمُ بالغيبِ فيما لا يَملِكُ تعيينَه إلّا اللهُ

جملةُ: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ بدلٌ مِن ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ مُفَسِّرةٌ لمضمونِه، وهي بدلُ كلٍّ مِن كلٍّ، ويَصِحُّ أن تكونَ في مَحلّ نصبٍ أو جَرٍّ على نزع الخافض؛ أي: (بأنّ لهم الحسنى)[2]، أو ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ جملةٌ تفسيريّةٌ مسبوقةٌ بما يشتملُ على معنى القولِ دونَ حروفِه، وهو قوله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ فهذا في معنى القول؛ أي: تقولُ كذبًا: كذا وكذا.

دلالةُ تقديمِ ﴿لَهُمُ﴾:

المُشركونَ فاجرونَ في قولِ الكَذِبِ، لا يحتشمون فيه

قَدَّمَ الجارَّ والمَجرورَ في قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، ولم يقُلْ: (أنّ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 641، وصافي، الجدول: 14/ 408.
(2) مكّيّ، مُشكلُ إعراب القرآن: 2/ 17، والعكبَريّ، التّبيان في إعراب القرآن، ص: 799.

الحُسنى لهم)؛ لبيان أنّهم مِن إفكِهم وفُجورِهم يَزعمون أنّ العاقبةَ الحُسنى مُختصَّةٌ بهم، خالصةٌ لهم مِن دون النّاس، فلإفادة معنى الاختصاص قَدَّمَ الجارَّ والمَجرور، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [البقرة: 94]، فكأنّ المعنى هنا: أنّ لهم الحُسنَى خالصةً لهم.

نُكتةُ إيثارِ لفظِ ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ على (الحسنة):

الكفّارُ غارقون في الغُرور والوَهم

لم يقُلْ في السّياق الكريم: (أنّ لهم الحَسَنة)، بل قال: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾؛ للدّلالة على أنّهم غارقون في الغُرور والوَهم والغَطرسة؛ لأنّ (الحسنة) مُؤنَّثُ (الحَسَن)، وأمّا ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ فهي مُؤنَّثُ (الأحسن)، فهم لا يَدَّعون لأنفسِهم الحالَ والمآلَ الحسَنَ فقط، بل يدّعون الحالَ والمآلَ الأحسنَ، وهذا مِن تمام بُهتانِهم ورجمِهم بالغيب[1].

بلاغةُ أسلوبِ التّوكيد:

يَتَغطرسُ الكافرُ حين يَكذِبُ، فيَجزِمُ بكَذِبِه كما يَجزِمُ بالعِلم واليقين

جاءتِ الجملةُ المُتضمِّنةُ كذبَهُم مُصَدَّرةً بأسلوب التّوكيد: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾، وفي توكيد كذبِهم إشارةٌ إلى غطرسة الكافرِ حينَ يتحرَّى الكَذِبَ، فإنّه يسوقُهُ مَساقَ العِلمِ المُؤكَّد، وكأنّه حقيقةٌ وواقعٌ! ولا يخفى ما في التّوكيد هنا مِنَ التّناسب البديع، معَ التّعبير بوَصفِ الكذبِ في جملة: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾؛ لأنّ وصفَ الكَذِبِ كنايةٌ عن إتقانِهم له وتفنُّنِهم فيه، وإذا أتقنَ أحدٌ شيئًا وتَفَنَّنَ فيه، أكَّدَهُ إذا عَرَضَه أو تَحَدَّثَ عنه، وهذه نُكتةُ تَوكيدِ الجملةِ المُبَيِّنةِ لكذبِهم، في دعواهم الحُسنى لأنفسِهم.

بلاغةُ المُقابلةِ المَعنويّة:

الكافرُ جاهلٌ بقَدرِ نفسِه، وجاهلٌ بقَدرِ رَبِّه

بين قولِه: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ وقولِه: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ مقابلةٌ مَعنويّةٌ بينَ حالَتين مَزعومَتين مِن أحوال كَذِبِهم، فقد جعلوا

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 178.

للّه ما يَكرهون مِن دُنيا المَنازلِ والأقاويلِ الباطلةِ، وجعلوا لأنفسِهم ما يُحبّون مِن أعلى المَنازل وأحسنِ العواقبِ، وهي الحُسنَى، وفيه مُقابلةٌ بديعةٌ.

مَوقِعُ جملةِ ﴿لَا جَرَمَ﴾ ممّا قبلَها:

النارُ جزاؤهم المحقَّقُ على كذبهم وافترائهم

جملة: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ، بينَها وبين جملة: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ شِبهُ كمالِ اتّصال، ولذا فُصِلَتْ ولم توصَلْ بحرف وصلٍ، كأنّها وقعَت جوابًا عن سؤالٍ مُقدَّرٍ بعد قولِه: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، تقديره: فماذا كائنٌ لهم بعدَ دعواهم الحُسنى لأنفسِهم؟ فأُجيبَ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾، أو جملة: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ استئنافيّة[1]، سِيقَتْ مَساقَ التّهديدِ والوعيدِ على مَضمون قوله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، فهي مِن باب إتباعِ العملِ بالجزاء عليه.

بلاغةُ التّعبير بـ ﴿لَا جَرَمَ﴾:

ما بعدَها لا يقبلُ الاستئنافَ والنّقضَ في الأحكام

استُعمِلَ تركيبُ: ﴿لَا جَرَمَ﴾ لتقرير مدخولِها: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ على أتمّ وجهٍ، وأنّ ذلك أمرٌ مقطوعٌ به، مَحسومٌ لا مِريَةَ فيه، حتّى لا يتشكّكَ أحدٌ في عقوبتِهم على ادّعائهم الحُسنى، ذلكَ أنّ ﴿لَا جَرَمَ﴾ معناه: لا انفصالَ ولا فكاكَ، فهو أسلوبٌ عربيٌّ ينفي المُفارقةَ والانقطاعَ، فأصلُ ﴿جَرَمَ﴾: القَطْعُ، فإذا قِيلَ: (لا جَرَم) فهو نفيُ القطعِ والانقطاعِ، وإثباتُ الشّيءِ بتمامِه وكلِّيَّتِه، ولذا فُسِّرَ تركيبُ ﴿لَا جَرَمَ﴾ بـ (لا مَحالةَ، ولا بُدَّ، ولا مَفرَّ)، وغيرِها مِنَ التّفسيرات الّتي تُفيدُ الثّبوتَ واللّزومَ، ومَن قال أنّ معنى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: حَقًّا، فهو مِن تفسير الشّيء المَنفيّ بنظير معناه الموجب، فإنَّ نَفيَ الانقطاع والمُفارقة عنِ الشّيء يقتضي وقوعَه حقًّا ثابتًا، فـ (لا مَحالة من وقوع كذا)، يساوي (ثبوتَ وقوعِه وتحقيقِه)، وهذا معنى (حقًّا)؛

(1) صافي، الجدول: 14/ 343.

أي: حَقَّ أو ثَبتَ حقًّا، على أنّ ﴿لَا جَرَمَ﴾ حينَئِذٍ مفعولٌ مُطلَقٌ لفعلٍ مَحذوفٍ، والمصدرُ المُؤوّلُ مِن جملة: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ فاعلٌ للمصدر المفهوم مِن معنى: (لا جَرَم)؛ أي: (حقًّا)، وعلى معنى (لا محالةَ) فـ ﴿لَا﴾ نافية للجنس، و﴿جَرَمَ﴾ اسمُها، والمصدرُ المُؤوّلُ ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ خبرُها؛ أي: لا مَحالةَ كونُ النّارِ لهم[1].

دلالةُ تقديمِ ﴿لَهُمُ﴾ على النّار:

اختصاصُ النّار بالكافرين

تقديمُ الجارِّ والمَجرورِ في قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ دالٌّ على اختصاص النّارِ بهم، وفيه إشارةٌ إلى أنّ الجزاءَ مِن جنس العمل، حتّى في تركيب النّظم وظاهرِ لفظِه.

بلاغةُ تمامِ المُطابقةِ بينَ التّركيبين:

الجَنّةُ مَقامٌ حَسَنٌ، ووَعدٌ حَسَنٌ، واسمٌ حَسَنٌ

مِن بديع الطّباق بين: ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ و﴿ٱلنَّارَ﴾ استِتمامُ التّركيبين مَحَلّ المُطابقةِ البَديعةِ، بالتّطابقِ اللّفظيِّ في الحروف والأدوات، والتّقديم والتّأخير، فكأنّ كلَّ تركيبٍ منهما آخِذٌ بزمام صاحبِه، فجملةُ: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ بدأت بالتّوكيد، وتوسَّطَت بتقديم الجارِّ والمَجرورِ لإفادةِ الاختصاص، وانتهَت بلفظَة الطّباق: ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾، وكذلك جملة: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ بدأت بالتّوكيد، وتَوَسَّطَتْ بتقديم الجارِّ والمَجرورِ لإفادة الاختصاص، وانتهَت بلفظة الطّباقِ ﴿ٱلنَّارَ﴾، وهذا من بديع تحصيلِ الجَزاءِ على قَدرِ الجنايةِ لفظًا ومعنًى!

بلاغةُ تصديرِ جملةِ الفاصلة بحرف التّوكيد:

أكَّدَ اللهُ جزاءَ المُشركين بالنّار لئلّا يرتابَ فيه ذو زيغٍ

جاء قولُه: ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ مُصدَّرًا بحرف التّوكيد؛ لأنّه مِن تمام الجزاءِ قبلَه، فيؤكَّدُ بمثل ما أُكِّدَ به في قوله: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾، فأكَّدَ جزاءَهم لئلّا يُرتابَ فيه، وأيضًا: مبالغة في وعيدهم، وزيادة في تهديدهم.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 411، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جرم)، والخطيب، التّفصيل في الإعراب: 6/ 38.

بلاغةُ الختْمِ بقوله: ﴿مُّفْرَطُونَ﴾:

جملة: ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ معطوفةٌ على جملة: ﴿لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[1]؛ للتّنبيه على استتمامِ جزائِهم، فأخبرَ أوّلًا عن أنّه يُجازيهم بالنّار، ثمّ أخبرَ عن رُتبتِهم وترتيبِهم في مُلاقاة هذا الجزاءِ، بأنّهم مِنَ الأوّلين المُتقدِّمين على غيرهم في ملابستِه ومعاينتِه؛ لأنّ ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ معناه: مُقَدَّمون إلى النّار.

لمّا ادَّعَوا لأنفسِهم تقديمًا ليس لهم، عوقِبوا بتقديمهم إلى النّار

أثرُ تَعدُّدِ القراءاتِ في قوله: ﴿مُّفْرَطُونَ﴾:

قرأ نافع: ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ بكسر الرّاءِ المَخفَّفةِ على زِنةِ اسمِ الفاعل، ويَحتَمِلُ معنَيين؛ **الأوّل:** سابقون إلى النّار ومُتقدِّمون إليها، ويكون فيه استعارةٌ تَهَكّميّةٌ، حيثُ شبَّههم في دخولهم النّارَ بشخصٍ يتقدَّمُ إلى النّار مُختارًا، ويستعجلُ ورودَها، كمَن يسبقُ في تحصيل المَنافعِ، ويتعجَّلُ في ورودِ مَواقعِ الأمانِ، على سبيل التَّهكُّم والاستخفاف، **الثّاني:** أنّ ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ مِنَ التّفريط؛ أي: مُقصّرون في حَقّ أنفسِهم بظُلمِها، وفي حَقّ ربِّهم بتجاوز حدودِه، على معنى: أنّ المُذنبَ المُسيء يتقدَّمُ ويَسبِقُ بالتّجاوز والمُخالفة؛ مُراعاةً لأصل المعنى الدّالِّ على التَّقدُّم.

الكافرون سابقون إلى النّار، مُتَقدِّمون إليها تَقدُّمَ الملهوفِ إلى غرضه

وقرأ أبو جعفر ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ بتضعيف اسمِ الفاعل، وذلك بتشديد الرّاء مع كسرِها، وهو أبلغُ وأدلُّ على رسوخِهم في التّفريط.

وقرأ الباقون بفتح الرّاء تخفيفًا على صيغة اسم المفعول: ﴿مُّفْرَطُونَ﴾؛ أي: يُؤخَذون قَهرًا إلى النّار، فيُقدَّمون إليها[2].

دلالةُ التّعبير بالاسميّة دون الفعليّة:

إيثارُ صيغةِ الاسميّة في لفظ: ﴿مُّفْرَطُونَ﴾، على تنوّعِ القراءات فيها بين اسمِ الفاعل واسمِ المفعول؛ للدّلالة على أنّهم كانوا مُلازِمين

الكفّارُ مُلازِمون للتّفريط، دائمون عليه

(1) صافي، الجدول: 14/ 343.

(2) ابن الجزريّ، النّشر: 2/ 304.

للتّفريط في الدّنيا، دائمينَ عليه، عاكفينَ على العِصيان والمُخالَفة، فكذلك هم يومَ القيامةِ، يُلزَمون بالسَّوق والتّقديم إلى جهنّمَ، حتّى يُلابِسوها وينغمسوا فيها، فحالُ سوقِهم إلى النّار بتقديمِهم ودفعِهم إليها، كأنّما تلازِمُهم ولا تنفَكُّ عنهم، حتّى يذوقوا العذابَ والعِياذُ باللّه.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الكُرهُ والبُغضُ:

الكَراهيَةُ لا يَلزَمُ عنها دَفعٌ للمكروه أو تجنيبه

الكُرهُ: هيئةٌ نفسيّةٌ تُخرِجُ الإنسانَ عن حَدّ الرِّضا والاختيار، فالكَراهيَةُ خِلافُ الرّضا والاختيار، ومنه قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾؛ أي: ينسبون له ما لا يَرضون بنَسَبِه إليهم، ولا يختارونه لو خُيِّروا فيه.

وأمّا البُغضُ فهو النّفورُ مِنَ الشّيء، وشِدّةُ كَراهيتِه، وهو ضِدُّ الحُبّ والأُنسِ والانجذاب[1].

والفرقُ الدّقيقُ بينَ الكَراهيَة والبُغضِ؛ أنّ الكَراهيَةَ لا يَلْزَمُ عنها دَفعٌ للمَكروه أو تجنيبُه، وأمّا البُغضُ فيَلْزَمُ عنه دَفعُ المكروهِ، بإبعاده أو إبعاد نفسِه عنه، ولذا اقترنَتْ بالعَداوَة في القرآن، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المائدة: 91]، ولذا فالبُغضُ يصحبُه أثرٌ ظاهرٌ يدلُّ عليه، كانفعالٍ بالانزعاج أو سلوكٍ بالنّفار، وأمّا الكُرهُ فلا يَلزمُ عنه ذلك.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بغض - كره).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»